حول تأثير فوز حماس

"البيدر" تحاور د. عماد شعت مدير عام التعاون الدولي في وزارة الشؤون الخارجية

■ "البيدر": ما هو تأثير فوز حماس على عملية التنمية في فلسطين؟

د. شعت: في اعتقادي أن الوقت ما زال مبكرا للحكم بالإيجاب أو بالسلب على تأثير فوز حماس على عملية التنمية في فلسطين. وبالرغم من أن عملية التنمية في فلسطين تعتمد أساسا على الدعم المقدم من دول ومنظمات دولية، أهمها الاتحاد الأوروبي والدول الأوروبية والولايات المتحدة واليابان والدول العربية، إلا أن الإشارات والمواقف الدولية الآتية من بعض هذه الدول والتلويح بوقف الدعم المالي عشية فوز حماس غير مشجعة وحتى أن الولايات المتحدة طالبت السلطة الوطنية الفلسطينية بإعادة بعض الأموال التي تم تقديمها في الفترة السابقة لتنفيذ بعض المشاريع في قطاع غزة بعد الانسحاب الإسرائيلي من القطاع. الدول المانحة تعتبر نفسها راعية للعملية الديموقراطية ليس فقط على مستوى فلسطين بل على مستوى العالم، أنا أعتقد جازما أن الكثير من هذه الدول لن تتخلى عن دعمها للمشاريع التنموية في فلسطين لأنها تخدم كل الشعب الفلسطيني ولن تتخلى عن تقديم المساعدات الإنسانية مع التأكيد على أهمية أن يكون هناك المزيد من الشفافية والمساءلة عند التعامل مع الأموال المقدمة من الدول المانحة والتعامل بحزم مع أي تجاوزات.

■ "البيدر": هل تعتقد أن لدى حماس مفاهيم وآليات تنموية قادرة على تطوير الوضع الفلسطيني؟

د. شعت: المفاهيم والآليات التنموية في فلسطين موجودة ومعدة، وهي متمثلة في الخطط الاقتصادية الفلسطينية، مثل خطة التنمية الفلسطينية، خطة تطوير الاقتصاد الفلسطيني والتي تهدف للنهوض بالوضع الاقتصادي والتنموي. حماس لن تستطيع أن تضع كل هذه الإنجازات من الخطط والبرامج والمشاريع جانبا لتبدأ من جديد، بل عليها استغلال هذه الخطط لتحقيق نمو اقتصادي أفضل. وزارات ومؤسسات السلطة الفلسطينية استطاعت أن تعمل جنبا إلى جنب مع المؤسسات المانحة لضمان أكبر قدر من التمويل للخطط الفلسطينية. وقد نالت الخطط التنموية الفلسطينية المختلفة رضا واستحسان الكثير من الدول المانحة. من الممكن على حكومة حماس أن تعدل هذه الخطط أو الإضافة عليها أو تحديد أولويات جديدة. حماس ستعمل ضمن مؤسسات ووزارات موجودة وفاعلة وهذه الوزارات والمؤسسات قطعت شوطا طويلا وتعلمت من هذه التجربة الطويلة وهنا يجب على حكومة بقيادة حماس الاستفادة من هذه التجربة والعمل على تطويرها والنهوض بها.

■ "البيدر": ما هي البدائل التمويلية في المرحلة القادمة؟

د. شعت: تعول حماس كثيرا على الدور الإسلامي والعربي في المرحلة القادمة كبدائل تمويلية، ولكن السؤال هو هل تكفي هذه البدائل؟ أنا في اعتقادي أنها لا تكفي، بل يجب أن تكون الولايات المتحدة مصدر أساسي للدعم. وإن لم تكن الولايات المتحدة فيجب الاعتماد بشكل أساسي على الدعم المقدم من الاتحاد الأوروبي والدول الأوروبية المختلفة، وهنا الدعم الأوروبي يمكن أن يكون في شكل دعم سياسي ودعم تنموي ودعم اقتصادي ودعم إنساني. روسيا أيضا خيار استراتيجي ورئيسي لدعم العملية التنموية في فلسطين ودعم عملية السلام. مؤسسات الأمم المتحدة أيضا من الممكن أن تلعب دورا رئيسيا في تمويل الكثير من البرامج والمشاريع.

■ "البيدر": ما هو الدور الذي يمكن للمعارضة والمجتمع المدني أن يلعبه في المرحلة القادمة؟

د. شعت: نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية التي جرت يوم ٢٥/١/٢٠٠٦، لم تعكس القوة الحقيقية للمتنافسين في الشارع الفلسطيني، وقد كانت هناك اعتبارات كثيرة لدى الناخب الفلسطيني، وكانت هذه النتائج بمثابة صدمة للناخب الفلسطيني ولكثير من القوى السياسية الفاعلة على الساحة الفلسطينية، والتي باتت اليوم تشكل معارضة يمكن لها الاستفادة من هذه التجربة. الدور الذي يمكن للمعارضة لعبه في المرحلة القادمة يجب أن يكون دورا بناءاً كما هو معروف عن المعارضة في كل البرلمانات في العالم وأن تقوم بدورها على أكمل وجه من مراقبة للحكومة وأدائها ومحاسبتها. المجتمع المدني يجب أن يدرك أن دوره ورسالته هما دور ورسالة مكملتين لدور ورسالة السلطة. إذا يجب أن يكون فعالا و عليه مسؤوليات استقطاب الدعم الدولي لتحقيق برامج وأهداف عملية التنمية في فلسطين، المطلوب أن لا تقف المعارضة والمجتمع الدولي مكتوفي الأيدي، المعارضة عليها واجبات تجاه شعبنا مثلما على الحكومة واجبات تجاه هذا الشعب.

■ "البيدر": هل أنت متفائل أم متشائم ؟ ولماذا ؟

د. شعت: التفاؤل والتشاؤم مسائل نسبية يتأثران بالمناخ السائد. أنا بطبيعتي متفائل والتفاؤل في هذه المرحلة هو أهم من أي وقت مضى. التفاؤل في هذه المرحلة سيكون المحرك الداعم للجميع للاستمرار كل في موقعه سواء في الحكومة أو المعارضة أو حتى في المجتمع المدني. المهم أن تعطي الحكومة الجديدة الفرصة لتعمل وعلينا جميعا أن نتكاتف من أجل قضيتنا العادلة وعلينا أن نعمل معا اليوم أكثر من أي وقت مضى كفلسطينيين لصد الهجوم والعدوان الإسرائيلي المتواصل علينا سواء كانت فتح في السلطة أم حماس فالعدوان مستمر.

الحريات العامة.. مخاطر ومحاذير

• مهند عبد الحميد

شهدت فلسطين تحولا سياسيا اجتماعيا وثقافيا بأسلوب ديمقراطي. وهو امتداد لتحولات أخرى في بلدان عربية وإسلامية. السمة المشتركة لهذه التحولات هي صعود الإسلام السياسي وهبوط أو هزيمة الاتجاهات القومية واليسارية والوطنية العلمانية. ومن اللافت أن الصعود الإسلامي يأتي ردا على الأزمة التي تعيشها المجتمعات العربية والمجتمع الفلسطيني. وهو في الغالب لا يطرح ولا يملك حلا فعليا لها وفقا لبرامجه المطروحة، بل قد يزيدها تعقيدا. إن التحولات الكبيرة داخل أي مجتمع تقاس بقدرة الاتجاه الصاعد على حل الأزمة بدءا بمحاولة فتح الإنسدادات التي تحول دون التطور. غير أن الخروج من الأزمة ليس بهذه البساطة، وخاصة في ظل التعقيدات المجتمعية المترتبة على عجز النظام العربي وفساده، وفي ظل المزاج الشعبي العدمي المتشكل في مواجهة غطرسة القوة المندفعة بسرعة قياسية نحو الهيمنة والنهب والاحتلال. وفي مناخ تغيب عنه الثقافة الناقدة لحساب سيادة ثنائيات، الخير والشر، الأبيض والأسود، الصواب والخطأ، الأيمان والكفر.

هل يقود فوز حماس في الانتخابات إلى انتقال المجتمع الفلسطيني من سلطة ذات طابع مدني علماني إلى سلطة ذات طابع ديني سلفي؟ وهل العالم العربي مقدم بدوره على الانتقال من الدولة المدنية إلى الدولة الدينية السلفية؟ المدارس الفكرية التي تنتمي لها القوى الإسلامية الصاعدة هي التي تجيب على هذه الأسئلة. ويمكن القول أن التحول السلبي باتجاه السلفية المحافظة سيحدث وربما يكون كارثيا من النمط الطالباني، إذا ما تم اعتماد المدارس الفكرية التي تغلب النقل على العقل، وتعطل الدور الاجتهادي للعقل وتغلق باب الاجتهاد، والتي تضع سقفا للفقه بعيدا عن المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وتعزل نفسها عن الثقافات والحضارات ونتاجات الفكر الإنساني. فيما مضى دعا ابن رشد إلى إعمال العقل في النص الديني وصولا إلى التأويل الذي ينتفي معه الإجماع والتكفير. وحذا حذوه علي عبد الرازق الذي دعا إلى فصل الدين عن الدولة في كتابه الإسلام وأصول الحكم، وكذلك وطه حسين. إلا أن حركة الإخوان المسلمين و خاصة في عهد سيد قطب قطعت مسار مدرسة التنوير وساهمت بتقييد العقل ومنع الاجتهاد. غير أن حركات الإخوان المسلمين لم تبق على حالها بعد تجاربها المريرة والمتخبطة وخاصة في مصر مركز الحركة. واتجهت حركة الإخوان نحو الاعتدال السياسي والاجتماعي من منطلق براغماتي بدون أن يعني ذلك تجاوزا للأسس الفكرية الناظمة لعمل الحركة. بقي الجذر الفكري موجودا، وترتب على ذلك وجود اتجاهات محافظة سلفية منغلقة وأخرى معتدلة براغماتية ومنفتحة وتختلف من بلد لآخر وأحيانا تتباين من مسؤول لآخر ومن منطقة لأخرى. حركة الإخوان في فلسطين كانت على الدوام في موقع المتلقي للأفكار والفكر بل أنها من اضعف الفروع فكريا. وقد انعكس ضعفها الفكري وعدم مساهمتها في إنتاج وإعادة إنتاج الفكر على مواقفها المتباينة بين اعتدال وتطرف، وعلى الانتقال من موقف لآخر بلا مقدمات أحيانا. ولم تنعكس البراغماتية الجديدة في الخطاب الديني الصادر عن رجال الدين المنتمين لحركة حماس أو المحسوبين عليها. ذلك الخطاب المتزمت الذي ترك بصمات واضحة في أجزاء أساسية من المجتمع. وإذا قارنا بين أفكار البرنامج ذات الملامح المعتدلة الذي تقدمت به حماس للانتخابات وبين الخطاب الديني الذي حافظ على تزمته سنصطدم بفروق وتناقضات. لقد انفردت المؤسسة الدينية تقريبا وعلى مدار عقد في نشر ثقافة جماهيرية تنتمي للمدرسة الفكرية المحافظة. ثقافة متعارضة مع أفكار الاعتدال النسبية التي طرحتها حماس مؤخرا، وخاصة بعد نجاحها في الانتخابات. ونجحت في إحداث نقلة مهمة في سلوك ومفاهيم فئات واسعة من المواطنين. وقد انعكس النجاح بتكّون رأي عام لا يتبنى المفاهيم وحسب بل ويشارك في نشرها وفرضها إن اقتضى الأمر. إن أي تدقيق في البنية التحتية للثقافة سيجد تراجعا نوعيا فبعد أن كانت المدن في الضفة والقطاع لا تخلو من دور السينما والمسرح والفنون. أصبحت الآن خالية من تلك المراكز باستثناءات محدودة جدا. ولا يمكن عزي ذلك لوجود أعمال مخلة بالآداب أو هابطة، لأنه يمكن حل المشكلة باختيار أعمال ملتزمة وذات مستوى رفيع. إن السبب يعود لرفض هذه الثقافة التي تتقاطع أو تشكل امتدادا للثقافة الغربية جملة وتفصيلا. والمشكلة هنا لا تنحصر في رفض لون محدد من تلك الثقافة، بل توحي بأنه لا يوجد رغبة في التفاعل مع الثقافات والحضارات والإبداعات للشعوب الأخرى. ويشكل هذا النهج في حال استمراره انعزالا عن الحضارة الإنسانية.

لقد جرى رفض مهرجانات للأغنية والرقص الفلكلوري وعروض مسرحية في نابلس وقلقيلية وغزة. السبب المعلن هو رفض الاختلاط سواء في إطار الفرق أو في إطار الحضور. أما السبب غير المعلن فهو رفض الثقافة. والغريب في الأمر أن الاختلاط هو تقليد وقيمة شعبية تعزز الوحدة والتعاون والمساواة وتعزز الأخلاق والاحترام. الاختلاط يحدث فعلا أثناء زراعة الأرض وفي مواسم الحصاد وقطف الزيتون والعمل التطوعي في المدن والمخيمات والأعراس في كل البلد وفي المواجهة مع قوات الاحتلال والمستوطنين. لماذا يتم إلغاء تراث رائع في الاختلاط والثقة والتعاون المشترك الذي ساهم في بقائنا وصمودنا في الصراع على هذا المكان. وإذا كان هناك شذوذ أو انحراف فهذا استثناء وليس قاعدة ولا يجوز التصرف على أساس الاستثناء. وتقدم رموز في المؤسسة الدينية تحريضا ضد تقاليد مهنية وإنسانية تشترك فيها شعوب العالم برمتها، كيوم المرأة العالمي وعيد الأم ويوم العمال العالمي وغيرها من المناسبات المشتركة. وتقوم تلك الرموز برفض وأحيانا تحريم التعاطي مع هذه الأعياد باعتبارها بدعة مستوردة من "الكفار". وهذا يدلل على رفض الآخر كثقافة ووجود. وإذا ما أضيف إلى هذه المواقف السلبية والمخيفة

المواقف المتزمتة من الزى ألفلاحي الشعبي والأعراس وتعدد الزوجات والزواج المبكر وتعليم الموسيقى في المدارس والتعليم المختلط في الجامعات. وفوق كل ذلك ممارسة نوع من الإرهاب الفكري ضد كل من يعارض هذه المنظومة من المواقف والأفكار التي تحتمل التفنيد من موقع الاجتهاد الديني ومن موقع القانون الناظم لحياة الشعب" ميثاق المنظمة والقانون الأساسي للسلطة" ومن موقع التسليم بالتعددية والديمقراطية التي أوصلت حماس إلى سدة الحكم وحسمت مبدأ تبادل السلطة بالطرق السلمية. إن اخطر ما يواجه حرية الرأي في هذه المرحلة هو استخدام المقدس في صد أي فكرة أخرى وفي مصادرة حق الحوار.